التعليم السليم

خطوة الأمل الأولى

آلاء جودة

التعليم السليم خطوة الأمل الأولى

آلاء جودة

نبذة عن الكاتب

آلاء جودة

كاتبة ومدونة، من أرض سُورِيَة الأبيّة، لطالما شُغفت بالرُقي والإصلاح؛ أحبت العدل، و أدْمَى فؤادها الظلم الواقع بالأمة في مشارق الأرض ومغاربها، ومع ما ترى من هذا الحال المكلوم الذي يعتري أحرار الدنيا وشرفائها ؛ إلا أنها لطالما تعلقت _وجدانًا وروحًا وقلبًا_ بهذا البيان الإلهي الصادق والذي يقرر أن الله هو الغالب، وأنه يُمْهِلُ ولا يُهْمِل!

(كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)

(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)

(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)

الصفحة الشخصية على الفيس بوك: https://www.facebook.com/alaa.jouda99

التعليم المدرسي للجميع خطوة صحيحة أم تدمير للمجتمع؟

التعليم حاجة أساسية تسمح للإنسان أن يرتقي بتفكيره ويساهم في قيادة مجتمعه إلى مكان أكثر سموا وأرفع منزلة

ولكن السؤال هل التعليم حقا هو ذلك المكان الضيق الذي يسمونه مدرسة؟

وهل على الجميع أن يخضع للإقامة الجبرية ثمانية أشهر في السنة لمدة لا تقل عن ستة عشر عاما على أقل تقدير ليخرج إلى العالم على أنه إنسان متحضر وأرفع درجة من الحداد أو الميكانيكي أو المزارع أو النجار أو الحرفي لا شك أن المجتمعات تضم آلاف الأطباء العباقرة والمهندسين المبدعين والأساتذة النوابغ ولكن هل الحاجة إليهم تفوق الحاجة إلى حرفيين وصناع وعمال؟

لم ينظر إلى المدرسة على أنها المكان الأكثر رقيا في حين ينظر إلى المهنيات والمدارس الصناعية على أنها المكان الذي ضم أسوأ النماذج من الطلبة ولعل ذلك هو الممارسة الحقيقية التي يقوم بها الأهل حيث يختبرون قدرة أبناءهم على خوض التعليم بصورته النمطية غير آبهين بميول أطفالهم التي قد تكون تعليمية ولكن ليس بالمعنى المفروض الذي يفضل الأهل قولبتهم فيه. بعض الأطفال لديهم ذكاء مهني خاص لا يستطيعون التعامل مع المعلومة المجردة ولا تغريهم الفكرة التي تسكن الكتب يحبون ملامسة الأشياء بأيديهم يتحسسونها ويضعون عليها بصماتهم.

إذا أردنا حقا الخير لأبناءنا علينا إعادة النظر في سلوكنا والتعامل مع الذات البشرية على أنها كيان مستقل لديها مواهب خاصة للغاية ووظيفتنا هي إضاءتها بالشكل الصحيح.

كم هائل من الشخصيات تمر أمامنا على اليوتيوب منهم من حول الطهي إلى فن بديع ومنهم من أعاد تدوير الأشياء على نحو استثنائي يثير العجب ناهيك عن الأشخاص الذين تخرجوا من المدارس والجامعات ثم بعد ذلك اكتشفوا أن ميولهم بعيدة كل البعد عن ما تعلموه في المدرسة والجامعة فلماذا نخضع أبناءها لذلك المسير كله ونتركهم يخسرون السنين والأيام مكرهين على فعل لا يحبونه ومكان لا يستسيغونه في حين أنهم يحملون طاقات ومواهب عظيمة تبقى حبيسة النفس إلى أن تتلاشى أو يكتشفها أصحابها مصادفة.

هل يعي الوسط التعليمي المسؤول حجم الخسارات التي تمنى فيها مجتمعاتنا كل يوم نتيجة هذه القولبة؟

هل يراقبون حجم الأزمة التي يفرضونها على المدرّس لكي يوازي بين النماذج المختلفة من الطلبة؟

هل يدركون كمية الإحباط الذي يزرعونه في نفوس طلبتنا كل يوم وهم يحاولون جاهدين إنزالهم غير المنازل التي خلقوا لها؟

هل يدرك الأهل حجم الفجيعة التي تطال أبناءهم عندما يرتبون علاماتهم المتدنية بعد أن بذلوا جهدهم لفهم ما لا يفهم بالنسبة إليهم؟

هذه الجريمة المستمرة جعلتنا نخسر شريحة عظيمة من الطلبة وإذا لم يتوجه المسؤولون في هذا المجال إلى تبني الأمر بشكل جدي إضافة إلى حملات التوعية الجماعية التي يجب أن يتم التوجه من خلالها إلى الأهل على وجه الخصوص للحد قدر الإمكان من انتشار الكارثة.

عندما يتوجه أبناءنا إلى الألعاب الالكترونية ليس علينا النظر إلى الأمر على أنه وباء أصابهم ولكن علينا النظر إليه على أنه إشارة لنا نتيجة إجبارهم على ما لا يستهويهم فكانت ردة فعلهم المتاحة هي الهرب إلى العالم الافتراضي بحثا عن ملهيات تبعد عنهم شبح الإحباط والاكتئاب فالخطوة الصحيحة في هذا الوقت هي دراسة الطفل من جديد ومحاولة فهمه والسير معه إلى حيث يستطيع الإبداع بدلا من الوقوف في وجهه حتى تتلاشى شخصيته ويتحول إلى خروف مثالي في حظيرة التربية والتعليم.

الكلام مهما كان منمقا ومدروسا فهو يدور حول المشكلة والعمل الجدي هو الوحيد القادر على تعديل المسار لإنقاذ الأجيال القادمة لعلنا نحصل على أجيال ضاحكة فعالة بدلا عن الروبوتات الناطقة التي تطوف البلاد على غير هدى وبلا هدف.

هذه المشكلة تتنامى بسرعة ولا تجد من يحاول الحد منها وبالغالب يكون رد الفعل الممارس هو التجاهل والتذمر وتحطيم الطفل إما نفسيا وفي حالات أخرى جسديا والتعامل معه على أنه شخص غبي أو غير سوي محاولين فتح غطاء رأسه وتعبئته بالمعلومات العظيمة المرادة لندور في نفس الدائرة التي دار فيها آباؤنا من قبل.

في النهاية إذا أردنا حقا الخير لأبناءنا علينا إعادة النظر في سلوكنا والتعامل مع الذات البشرية على أنها كيان مستقل لديها مواهب خاصة للغاية ووظيفتنا هي إضاءتها بالشكل الصحيح لنحصل على المراد ونحمي أطفالنا من الإحباط والفشل المتوقع إذا استمرينا على نفس النهج.

ملاحظة: السمكة لا تطير.

المؤسسة التعليمية؛ منظومة لا إنسانية!

إن حالة الهجران المعرفي التي تعيشها منطقتنا العربية منذ بداية أزمة كورونا على وجه الخصوص تدعونا إلى البحث عن مواطن الخلل سعيا لتدارك الأمر أو بالأحرى إعادة هيكلة وبناء المنظومة التعليمية بشكل كلي.

فالحقيقة التي لا يمكن نكرانها أو تجاهلها أن التعليم في عصرنا هذا فقد القيمة الجوهرية له فصار جل الاهتمام به سعيا لوظيفة توفر دخلا عاليا أو مكانة مرموقة دون أية مراعاة أو اهتمام بالبناء البشري الأخلاقي أو أدنى سعي لتقويم الفساد المجتمعي وتدارك الخطوات المتلاحقة التي سرناها إلى الوراء والتي تركتنا بعيدين جدا عن ركب التطور المادي والعلمي الذي يشهده العالم اليوم!

ولعل أبرز الأدلة على صواب هذه النظرة هو حال الطلبة مع بداية الأزمة و إلى اليوم حيث أنك نادرا ما ترى بينهم من يقرأ أو يدرس أو يطالع أو يبحث أي أنه حقيقة لمّا زالت سطوة المدرسة والجامعة رأينا الأجيال عازفة عن التحصيل المعرفي المرجو وتفضل الفراغ والخلو العلمي الكامل نتيجة إرهاق نفسي لا يمكن إنكاره أو تجاهله

فأين الموطن الحقيقي لهذا الخلل وما هي المشاكل التعليمية الأساسية التي أوصلتنا إلى هنا وكيف هو السبيل إلى إصلاحها؟

إن الحديث عن المشاكل التعليمية يطول ويتشعب ولعلني أرى أن أصل المشكلة يعود أساسا إلى تجاهل المنظومة التعليمية للإنسان كبنية حيّة حيث يتم التعامل معه غالبا ك ربوت سواء كان معلما أو طالب علم على حد سواء..

وعليه؛ فإنه من الواجب بل الأوجب أن تبدأ المؤسسة التعليمية بالنظر إلى النفس البشرية كقيمة وجودية أخلاقية يبدأ منها أي بناء ويتفرع عنها أي رقي وهنا أتذكر قول رئيس الوزراء السنغافوري السابق لي كوان يو مؤسس سنغافورة الحديثة الرائدة تعليميا على مستوى العالم في سعي لم يتجاوز الخمسين سنة:

"اصنعوا الإنسان قبل أي شيء، أمنوا المرافق والخدمات ثم اجعلوه يستخدمها بطريقة حضارية نظيفة"

كثيرا ما يتم تسليط الضوء على محدودية الخدمات التعليمية ولا يتم التنويه إلى

ضعف الاحترام الإنساني في العملية التعليمية ككل
هذا و يمكننا الفصل بين شريحتين إنسانيتين يضمهما هذا الوسط واللذان يعانيان بشكل متساو إلى حد ما ألا وهما التلميذ والمعلم
بالنظر إلى التلميذ نرى بوضوح السعي المستمر لقولبته وفق أطر محددة تضمن له الاحترام المجتمعي الكامل متجاهلين أي ميل مختلف أو نفور قائم في نفسه تجاه حقل تعليمي أو توجه تربوي معتقد ومفروض.

وقد كان الأولى مراعاة الاختلافات اللامحدودة بين كل تلميذ وآخر وتسليط الضوء عليها ومما يثبت وجهة النظر هذه الأجوبة النمطية التي نتلقاها من طلبتنا عند سؤالهم عن مهنة المستقبل المرجوة إضافة إلى الضياع وعدم إدراك الإجابة فيما إن سألناهم عن هدفهم في هذه الحياة والذي كان من المفترض أن يتبلور لديهم بشكل جلي فيما لو حرصت المنظومة التعليمية على بناء النفس بشكل صحيح.

الهرب المستمر الذي يلجأ إليه طلابنا نحو العالم الافتراضي يوضح الرفض الشديد لواقع لا يراعي وجودهم الحقيقي وهذا الهروب إنما يكون باتجاه منصات التواصل الاجتماعي التي تعطيهم قيمة فردية محددة اسما خاصا في فضاء رحب أو باتجاه الألعاب الإلكترونية التي تجعل منهم محور اللعبة وقائدها ولا نجد في الواقع من يدخل الانترنت طواعية باحثا عن علم ما أو مهارة محددة إلا في حالات نادرة
الأمر الذي علينا إدراكه بشدة أننا خلقنا في نفس الطالب رفضا تعليميا عميقا ودمرنا قدرته المعرفية والمبدعة وحولناه إلى حاوية تضم معارف محددة جدا ليلفظها بعد فترة وذلك على حسب الطلب المجتمعي.

ولعل أسلوب التعليم المعتمد على إلقاء المعلومة إلى التلميذ بأسلوب محاضراتي سمج يعزز وصفنا له كحاوية مؤقتة تضم ما يجب أن يُضم دون آفاق مفتوحة إن هذا التقييد يحد من حرية الطلبة وبالتالي يحد من إبداعهم!

وكما يقول الرئيس البوسني السابق علي عزت بيجوفيتش:

"يمكن أن يكون التعليم لا إنسانيا إذا كان عملية من جانب واحد، موجها وقائما على تلقين تعاليم حزبية، إذا لم يكن يعلّم الفرد كيف يفكر بطريقة إستقلالية، إذا كان يقدم إجابات جاهزة، إذا كان يُعدّ الناس للوظائف المختلفة بدلا من توسيع أفقهم، وبالتالي حريتهم"

وبتسليط الضوء على الشريحة الإنسانية الثانية في العملية التربوية ألا وهو المعلم والذي يتعرض لاضطهاد وعبودية لا تقل سوءا عن الحالة التي يتعرض لها التلميذ ولعل الأعباء الملقاة عليه تهد بناءه النفسي بشكل شبه كامل والذي ينعكس بشكل كلي على الطلبة وعلى العملية التربوية ككل.

يحكى أنه حدث خلاف شديد بين الحارس الألماني الشهير أوليفر كان مع زوجته مما أدى إلى تراجع الأداء الكروي للحارس النجم مما حدى مدرب نادي بايرن ميونخ إلى التدخل في هذا الخلاف والعمل على إصلاحه بغية استعادة النجم الألماني لمهاراته المعروفة

ولا أعتقد أن البناء النفسي للمعلم العربي يقل تضررا عن حالة "كان" هذه ويجب هنا التدخل السريع من أجل استعادته لقدراته التعليمية وإبداعاته المرجوة بالتالي استعادتنا له كركيزة ثابتة للبناء

كما ينبغي أيضا العمل على رفع القيمة المجتمعية له وإدراج حقوقه كبند مستعجل جدا لأن الحقيقة التي لايمكن تجاوزها أنه ألف العملية التربوية وياؤها فإذا لم يتم تأمينه نفسيا وماديا فلا يمكن لأي سعي تربوي أن يكون ذو معنى أو قيمة.

ومن عظائم القصص أيضا أنه في فترة ما قام القضاة في ألمانيا برفع عريضة إلى المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل طالبوا فيها بالمساواة مع المعلمين فكان الرد الأخلاقي العظيم: "كيف أساويكم بمن علّموكم"!

يجب أولا وأخيرا؛ تعديل النظرة المجتمعية للمعلم والتأكيد على أنه الأكثر قيمة في البناء المعرفي والأخلاقي القويم فعلا وليس قولا!

إن المشاكل التعليمية لا يمكن حصرها ولا يمكن حلها فيما لو بقي التجاهل للإنسان كقيمة آدمية لها نوازع وميول خاصة جدا وفردية للغاية وبعدها يمكن الارتفاع في البناء التعليمي بشكل سريع وصحيح وتدارك ما تم خسرانه في السنوات والعقود الماضية.